ظاهرة استقدام الخلفاء الامويين للشعراء والمغنيين في العصر الاموي٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٤٩م

أ.د. يوسف كاظم جغيل الشمري
جامعة بابل /كلية التربية للعلوم الانسانية

الباحثة الآء جاسم هادي
جامعة بابل /كلية التربية للعلوم الانسانية

ybabilf@gmail.com

ملخص البحث

فوقع الاختيار على موضوع الاستقدام الشخصي لكشف حقيقة هذا الاستقدام في هذا العصر وكل ما يتعلق بها، فضلاً عن تسليط الضوء على ما يكتنف موضوع الاستقدام في العصر الاموي من أحداث تأريخية متعددة الجوانب ومتنوعة الدوافع .

ويمكن لنا أن نوضح في المقدمة الاستقدام الشخصي، وهو أنْ يدعو الخليفة او الوالي أحد الشخصيات العلميّة أو الأدبية أو الفنية أو أي شخصية أخرى لغرض ما؛ لسبب يتعلق بوصفه المذكور.

الكلمات المفتاحية: الاستقدام، الغناء، الخلافة، جارية، الوليد بن يزيد.

Abstract

The study results a definition to personal summon and it reveals events accompanied the summon of certain people in certain occasions, such as the summon of a vocalist and paying him money from the treasury of the state. Or, the summon of a female vocalist from Africa to Syria, and so on.

Personal summon has many purposes differs according to the summoned person. Some times poets are summoned or a singer or a scientist, a warrior or a businessman.

Keywords: summon, the early Islamic period, the Umayyad period, personal.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وخاتم النبيين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد

فالتأريخ الاسلامي حافل بالظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكل ما يتعلق بأخبار الماضين، وأحداثهم ومجريات حياتهم، والاستقدام في العصرين: الراشدي والأمويّ من الظواهر لمتصفح تراثنا الاسلامي، وقد شاعت هذه الظاهرة في العصرين؛ نظراً لطبيعة المرحلة التي مرّ بها العالم في تلك الحقبة بعد الحدث العالميّ الكبير الذي أنقذ الناس من الظلمات الى النور، وهو الدين الاسلامي المحمدي الحنيف، ومن ثمَّ عصر الخلفاء الاربعة، وما فيه من تداعيات كبيرة وخطيرة في تأسيس خلافة رسول الله وقيادة المسلمين، إذ كان للاستقدام الشخصي أثره الفاعل في رسم كثير من الاحداث التاريخية في تلك الحقبة المهمة جداً بعد وفاة رسول الله [ص]، ومن ثمّ العصر الأموي الذي أسس لخلافة الوراثة

عند بني أمية، ودخول المسلمين في مرحلة جديدة ولا سيما علاقاتهم مع العالم بكل أنواعها وحيثياتها وتوسع الفتوحات الاسلاميّة.

أولاً: الاستقدام لغة واصطلاحاً

١. الاستقدام لغةً.

قَدَمَ وقَدِمَ وأقدم وتَقَدَّم بمعنى يُقال: استجاب واجاب، وَرَجَلٌ قَدمٌ يقتحم الأمور والأشياء، ويتقدم الناس ويمشي في الحروب قُدُماً، وقدَمَهم يَقدُمُهم قَدماً وقُدُماً صار أمامهم[١]، وتقدَّمت إليه بكذا، وقدَّمت أمرته به[٢]، قال الزمخشري: ((وقدم من سفره وقدم البلد وقدم على بلده وما اقدمك واستقدمه الأمير))[٣] وأصل صيغة استفعل يكون لطلب الفعل، يُقال: استكتبه، أي طلبتُ منه الكتابة[٤].

٢. الاستقدام اصطلاحاً.

الاستقدام في الاصطلاح لا يخرج عن دائرة المعنى اللغوي المتقدم ذكره، ولاسيما أن الطلب والاستدعاء من أشهر معاني صيغة استفعل، فالاستقدام هو طلب قدوم الرجل من جهة معينة، ذكرت المعاجم العربية الحديثة المعنى الاصطلاحي للاستقدام على أنَّه طلب قدومه واستدعائه، واستحضاره، نحو: استقدمه القاضي؛ ليُدلي بشهادته واستقدمت الشرطة المجرم[٥].

ثانياً: مرادفات الاستقدام:

لم يكن مفهوم الاستقدام بلفظ واحد، بل وردت ألفاظ عدة تؤدي المعنى نفسه، وتدل على ما يراد من دلالته بما لا يخرج عن مفهومه، يمكن أنْ نوردها على النحو الآتي بحسب تسلسلها الهجائي:

١- **أتى به أو آتي به:** من التعبيرات المرادفة للاستقدام الفعل الماضي (أتى) أو الأمر منه (آتي به) على سبيل الطلب حقيقةً، قال ابو قتيبة الدينوري: ((قال يوسف: كنت مأموراً ومالي في ذلك ذنب، فهل لك أن تعفيني من القتل، وأعطيك ديتي عشرة آلاف درهم، فضحك منه، ثم حمله حتى أتى به محمد بن خالد[٦] بالشام ...))[٧].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٤٦٧/١٢-٤٦٨ مادة (قَدَمَ).

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ٢٥٠/٣٣ مادة (قدم).

(٣) اساس البلاغة، ٥٩/٢ مادة (قدَم).

(٤) ابن شرف شاه الاسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ٢٦٤/١.

(٥) احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٧٨٩/٣.

(٦) محمد بن خالد بن الوليد بن عقبة بن ابي معيط ' شاعر اموي كان يهتم في عقيدته،له شعر في رثاء عمر بن عبد العزيز توفي سنة ١٠١هـ/ ٧٢٠ م .الصفوي،الوافي بالوفيات،٣١/٣.

(٧) الاخبار الطوال ،٣٥٠/١

٢- كتب الى ابن هبيرة [١]أن يوجه إليه توبة بن ابي أسيد مولى بن العنبر، فكتب ابن هبيرة الى عامله بالبصرة أحمل اليَّ توبة بن ابي أسيد، فحمله فقدم...) [٢].

والذي يلاحظ على هذا النص أنه استعمل الفعلين المرادفين للاستقدام (حمله) و(أتى به) وعبارة أحمل اليّ إنما هو بفعل الحمل المجازي وليس الحقيقيّ، لان المستقدم لا يؤتى به محمولاً حقيقةً بل يأتي بنفسه وإن كان مرغماً.

٣- **أرْسِل إليّ أو أَرْسِل إلى:** هذا المرادف بمعناه الحقيقي، وهو طلب الارسال، قال الطبري في تاريخه: (قال ابن عمر: وحدثني شرحبيل بن ابي عوف عن ابيه، قال: رأيت الحجاج أرسل إلى سهل بن سعد فدعاه، فقال: ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان...) [٣].

الذي يلاحظ على هذا النص أنه عبرّ عن معنى الاستقدام بـ(أرسل إلى) و (فدعاه).

٤- **استدعى:** من المرادفات التي تعبّر الطلب الحقيقي، قال ابن مسكويه: (في ذكر رأي اشار به ابو علي ابن اسماعيل على بهاء الدولة، اشار عليه بأن يستدعي الأمير أبا منصور ولده ويرتّبه بالاهواز ويضم ابا جعفر الحجاج وأن يسير بنفسه الى فارس وإذا فتحها استدعى الأمير ابا منصور)[٤].

٥- **أشخص إليه:** من المرادفات المهمة والكثيرة التي تدل على الاستقدام، ذكر البلاذري((قال المغيرة لمعاوية، ومعاوية بالكوفة: أترضى بأن يكون زياد وهو في دهائه ورأيه وحزمه متحصناً في قلعة بفارس؟ قال فما ترى؟ قال: أرى أن أشخص إليه فآتيك به، قال: افعل))[٥]. فما يلاحظ على هذا المراد أنه أكدّه بعبارة ((فآتيك به)).

---

(١) ابن هبيره: هشام بن هبيره الضبي، كان قاضيا في البصرة، كان معروفا قليل الحديث ، توفي سنة ٥٦٠ هـ/١١٦٤ م . بن سعد ،الطبقة الكبرى ،١٥١/٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ،٣٥/٧.

(٣) تاريخ الطبري ،١٩٥/٦

(٤) تجارب الامم ، ٣٨١/٧ .

(٥) جمل من انساب الاشراف ١٩١/٥ .

. الاستقدام الشخصي

هو أن يُستدعى شخص ما أو مجموعة أشخاص استقداماً خارجاً عن إطار الادارة والسياسة والحرب، وقد يكون استقداما استشاريّا علميّاً أو استقداماً وعظيّاً أو استقداماً أدبيّاً أو فنيّاً أو استقداما لغرض الاستكتاب أو غير ذلك.

ومن أدلة هذا الاستقدام ما نقله ابن عساكر[١] عن الوليد بن عبد الملك فقال:((لما هدم الوليد بن عبد الملك الكنيسة التي في مغارب المسجد فوجد في أساسه حجرا مكتوبا بالعبرانية، فأتوا الوليد بن عبد الملك فقالوا يا أمير المؤمنين وجدنا في أساس الحائط حجراً فيه كتاب لا يدرى بأي لسان، قال: فجمع الوليد بن عبد الملك أهل الكتب فلم يجد أحداً يقرؤه فقال له رجل من اليهود يا أمير المؤمنين ابعث إلى وهب بن منبه اليماني[٢] فإنه يقرأ كل كتاب فأرسل إليه فقال له: يا وهب إنَّا وجدنا أساس الحائط حجرا فيه كتاب بالعبرانية فذكر أنك تقرأ كل كتاب فقام وهب بن منبه إلى الحجر فقرأه...))[١].

ومن الأدلة المهمة على الاستقدام ذات الطابع العلمي، هو استقدام تدويني أو استكتابي – إن صحّ أنْ نعبّر عنه– ما نقله ابو يوسف الفسوي [٣]، إذ قال:((أرسل إليّ هشام بن عبد الملك: أن أكتب لبني بعض أحاديثك، فقلت: لو سألتني عن حديثين ما تابعت بينهما، ولكن إن كنت تريده فادع كاتبا فإذا اجتمع إليّ الناس يسألوني كتبت لهم ما تريد، قال: فأرسل كاتبا ومكث سنة، ما يأتي يوم إلا ملأته))[٢].

وما يمكن أنْ يُقال في الاستقدام الشخصي أنَّه ذو طابع بعيد عن السياسة والادارة في الاعم الاغلب؛ لأننا جعلنا الاستقدام الشخصي ذا الطابع السياسي في الاستقدام السياسي، والاستقدام الشخصي ذا الطابع العسكري في الاستقدام العسكري، والاستقدام الشخصي ذات الطابع الاداري في الاستقدام الاداري، فخُصص هذا النوع من الاستقدام بما عدا تلك الاستقدامات وأسبابها.

---

[١] تاريخ مدينةدمشق،٢٥٢/١٨.

[٢] وهب بن منبة الصنعاني ، يكنى ابو عبد الله ، مؤرخ كثير الاخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الاولين ولا سيما الاسرائليات،توفي سنة ١٤٤ هـ/٧٣٢ م . السمعاني ، الانساب ، ١١/٣

(٣) المعرفة والتاريخ، ١/ ٦٣٢.

صفحنا عن بني ذهل وقلنا القوم اخوان
عسى الايام ان يرجعن قوما كالذي كانوا

وهو شعر قديم يقال: إنه للفتنة، فقال لحبابة غني به بحياتي قالت له:((يا امير المؤمنين هذا شعر لا اعرف احد يغني به الا الاصول المكي))، فوجه يزيد الى صاحب مكة: ((اذا أتاك كتابي هذا فادفع الى فلان بن ابي لهب الف دينار لنفقة طريقه واحمله على ما شاء من دواب البريد))، ففعل فلما قدم عليه طلب منه أن يغني بشعر الفتنة فغناه فأجاد وأحسن، فطلب منه يزيد أن يعيده، فأجاد وأحسن وأطرب يزيد بن عبد الملك[١]، فسأله: ((ممن أخذت هذا الغناء فأجابه يا امير المؤمنين عن أبي وأخذه ابي عن ابيه، لو لم ترث الا هذا الصوت فكان ابو لهب قد أورثكم خيرا كثيرا، قائلا يا امير المؤمنين: إن ابا لهب مات كافرا مؤذيا لرسول الله [ص] فأجابه قد اعلم ما تقول))، ووصله وكساه ورده الى بلده مكرما[٢].

المتمعن في هذه الاخبار التي تروى عن هذه الاستقدامات الشخصيّة للمغنين يتبيّن أنَّ حكام بني أميّة من المولعين بالطرب والغناء، وأنهم يغدقون على المغنيات والمغنيين حتى وصل الأمر أنْ يبعث يزيد الى افريقيا لشراء حبابة واستقدامها، فيما نقل البلاذري((كانت حبابة تسمى الغالية، وكانت لرجل من الموالي بالمدينة، فلما قدم يزيد وتزوج ابنة عبد الله بن عمرو وربيحة بنت محمد، اشترى الغالية من مولاها بأربعة آلاف دينار، وبلغ ذلك سليمان فقال: لأحجزن على هذا المائق السفيه، فلما بلغه قول سليمان استقال مولى الغالية فأقاله وشخص بها مولاها إلى إفريقية فباع الغالية هناك.

فلما استخلف يزيد واشترى سلامة من مولاها، قالت له امرأته ابنة عبد الله بن عمرو بن عثمان (ت ١٢٠هـ/ ٧٣٨م) ان كان هناك شيء من الدنيا لم تنله، فاشأر اليها بالغالية وافاد أنها بيعت بإفريقية.

فبعثت بعض مواليها إلى إفريقية فاشتراها بأربعة آلاف دينار، وقدم بها فهيأتها ابنة عبد الله بن عمرو وأجلستها في البيت، وقالت ليزيد: ((إن رأيت الغالية تعرفها؟ قال: نعم لقد رأيتها فما أنساها، فرفعت الستر فرآها فقال: هي هذه. قالت: فهي لك، وأخلتها فسماها حبابة)) [٣].

هذا الولع بالغناء والمغنين هو في داخل دار الخلافة وامارة المسلمين، مع أن خلافة المسلمين يجب أن تبتعد كل البعد عما يتنافى وتعاليم الدين الاسلامي، بل الانفاق على المغنيين هو من بيت مال المسلمين، فهذا ما آلت اليه أمور الخلافةفي عهد بني امية، وما صارت اليه الاوضاع.

---

[١] مروج الذهب، ١٦٣/٣.

[٢] النويري، نهاية الارب، ٥٩/٥.

[٣] أنساب الأشراف ٨/ ٢٥٧.